Journal of Humanities and Social Sciences
Volume (6), Issue (4): 30 Apr 2022
P: 46 - 60
ISSN: 2522-3380
مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية
المجلد (6)، العدد (4): 30 إبريل 2022م
ص:46 - 60

The Roman Byzantine Kharag, narrated by Ibn Khordadb

Muhammad Hassan Suhail Al-Dulaimi
llege of Basic Education || Al-Mustansiriya University || Iraq

Abstract: The research dealt with the Kharaj of the Romans by the Byzantines in the third AH / ninth century AD with the narration of the Muslim country Ibn Khardathbe in his book Al-Masalik and the Mamalik, in which he talked about the Kharaj of the Romans in Asia Minor, and his source in that was the book (The News of the Romans and their Kings and Their Countries) and its author, Muslim Al-Jurimi, The Scientist in Countries Rum, as well as Presidency of the Office of Post and News The descriptive analytical approach based on explaining the novel was followed with its main elements (type of Kharaj, amount of Kharaj, times of Kharaj collection, incision of rum Kharaj).

Keywords: Karaj Al-Rum, Ibn Khardathba ,masalik and mamalik.

خراج الروم البيزنطيين برواية ابن خرداذبه

محمد حسن سهيل الدليمي
كلية التربية الأساسية || الجامعة المستنصرية || العراق

المستخلص: تنأول البحث خراج الروم البيزنطيين في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي برواية البلداني المسلم ابن خرداذبه في كتابه المسالك والممالك، مبينا خراج الروم ومقدار جبايتهم وقد اعتمد ابن خرداذبة في معلوماته على كتاب أخبار الروم وملوكهم وبلادهم لمؤلفه مسلم الجرمي الذي كان اسيرا ببلاد الروم فضلا عن معلوماته اثناء رئاسته ديوان البريد والخبر في عهد الخليفة العباسي المعتمد بالله وتم اتباع المنهج التحليلي القائم على شرح الرواية بعناصرها الرئيسية (نوع الخراج، مقدار الخراج، أوقات جمع الخراج، متولي الخراج).

الكلمات المفتاحية: خراج الروم، ابن خرداذبه، المسالك والممالك.

المقدمة.

الامبراطورية البيزنطية هي وريثة الامبراطورية الرومانية القديمة فقد شكلت الجزء الشرقي منها، وقد انفصلوا عنها وأسسوا دولةً قويةً ذاع صيتها عندما اتخذ الامبراطور الروماني قسطنطين قرارًا بنقل العاصمة من روما إلى مدينة القسطنطينية في عام 330م، المؤرخون المسلمون درجوا تسمية الروم على الامبراطورية البيزنطية اعتمادا على التسمية القرآنية "سورة الروم" وعندما سقطت روما عام 476م بقي الجانب الشرقي منها على حاله تقريبا حتى الفتح الإسلامي وبقيت العاصمة القسطنطينية إلى أن سقطت على يد الاتراك العثمانيين عام 1453م وهذا ما دفع بعض المؤرخين إلى تسميتها بالإمبراطورية الرومانية الشرقية

أهمية البحث:

يعد خراج الروم البيزنطيين من المواضيع الاقتصادية التي تناولت مالية الامبراطورية البيزنطية فضريبة الأرض كانت تمثل عماد الاقتصاد البيزنطي وعليها اعتمدت نفقات الامبراطورية التي كانت تجاور بحدودها الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي.

اما هدف البحث

فهو اظهار قدرة واهتمام المؤرخون المسلمون في تدوين أعمال ونظم الأمم المجاورة للدولة العربية الإسلامية بجوانبها المختلفة مما يعكس ثقافة وشمولية الحضارة العربية الإسلامية ومنها موضوع خراج الروم والذي جاء مدونا بمصادر تاريخية قائمة على المشاهدة والعيان اعطاها صفة المصداقية فرواية ابن خرداذبه اعتمدت على ما رواه مسلم الجرمي وهو شخصية إسلامية قضى سنوات اسيرا داخل المجتمع الرومي البيزنطي فاطلع على نظمهم وعاداتهم ودونها في كتابه أخبار الروم وملوكهم وبلادهم ذكره ابن خرداذبة في كتابه المسالك واطلع عليه ودون ما فيه من معلومات، وايضا كان لعمله في ديوان البريد أهمية في روايته اعطتها صفة الوضوح والدقة لوجود مراسلات شهدت إصلاحات مالية وإدارية في الامبراطورية البيزنطية.

إشكالية الدراسة

التعرف على قدرة المسلمين على استيعاب نظم وعادات الأمم المجاورة السياسية منها والاقتصادية والعسكرية وتدوينها في مصادرهم والتعرف على الدوافع من وراء دلك.

خطة البحث:

- المقدمة
- اسمه وسيرته العلمية والوظيفية:
- خراج الروم في المصادر البلدانية الإسلامية
- أهمية النصوص الاقتصادية حول خراج الروم في رواية ابن خرداذبه:
- جغرافية بلاد الروم
- ديوان خراج الروم
- العناصر الرئيسية لخراج الروم في رواية ابن خرداذبه.

اسمه وسيرته العلمية والوظيفية:

هو عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ بْنِ خُرْدَاذَبَةَ، أَبُو الْقَاسِمِ الكاتب(ابن النديم، 1997، 182؛ الخطيب البغدادي، 1417، 10/17) من عائلة مجوسية اسلم جده عَلَى يد البرامكة (قيل أنهم كانوا من أهل بيوتات بلخ ممن يتولون البهار وبيت النار فقيل لهم البرامكة على معنى أنهم سدنة البيت وحجابه فأول ما ولوا من الأعمال في أيام أبي العباس ولي الخراج خالد بن برمك ثم صار يدور فيهم إلى أيام الرشيد فولوا الوزارة، قال بعضهم الوزارة ثم سخط عليهم هارون فأفناهم، المقدسي، د.ت، 104/6) لقب بالفارسي (المراكشي، 2000، ص249) والخراساني (الفاسي، 2000، 57/1) وهذه العائلة تولت مناصب سياسية في الدولة العباسية فوالده عبدالله كان واليا على طبرستان(الطبري، 1986، 138/5؛ ابن الجوزي، 1992، 100/10) وتولى ابنه عبيد الله ديوان البريد والخبر للخليفة المعتمد (256-279هـ/896-892م) وكان من ندمائه وخص به وكان راوية للأخبار والآداب وله مصنفات منها كتاب المسالك والممالك

(اعتنى بطبعه العلامة دي جويه في لايدن سنة 1889م في المجموعة المسماة باللغة اللاتينية هكذا Bibliotheca Geographorum Arabum، Pars Leyden 1889. أي المكتبة الجغرافية العربية الجزء السادس ليدن سنة 1889م، فانديك، 1896م، 48) وكتاب الندماء والجلساء وكتاب اللَّهو والملاهي وكتاب الطبخ وكتاب الشراب(ياقوت الحموي، 1993، 1573/4؛ الصفدي، 229/19) وكتاب أدب السماع وكتاب جمهرة أنساب الفرس والنواقل وكتاب الأنوار(ابن حجر العسقلاني، 2002، 317/5) قال المسعودي "وكتابه المسالك والممالك هو اعم هذه الكتب شهرة في خواص الناس وعوامهم في وقتنا هذا" (المسعودي، د.ت، 66) ونقل عنه ابن الجوزي قصة صفة بناء السد برواية سلام الترجمان (ابن الجوزي، 1992، 294/1) ورى ابو سعيد الاندلسي قصة بناء مدينة دمشق(ابو سعيد، د.ت، 46) وترجم الكتاب إلى اللغة التركية من قبل الشريف بن السيد محمد بن الشيخ برهان الذين المدرس للسلطان محمد فاتح أكري وذكر فيه أن كتاب المسالك الممالك بالفارسي أخرجه المذكور من الخزانة وأمر بترجمته فترجم(حاجي خليفة، 1941، 1665/2).

وفاته: لم تذكر مصادر التراجم والطبقات تاريخ وفاة ابن خرداذبه واتفقت المراجع الحديثة على أن وفاته كانت بحدود 300هـ /912م(حاجي خليفة، 1941، 1/ 278؛ كحالة، د.ت، 6/ 236) أما الزركلي فانفرد بتاريخ 280هـ/893م (الزركلي، 2002، 190/4) والذي يمكن قوله بهذا الصدد أن نسخة كتاب المسالك والممالك دونت في عهد الخليفة المعتمد استنادا إلى تاريخ خلافته (256-279هـ/896-892م) وكان فيها ابن خرداذبه يتولى ديوان البريد والخبر فضلا عن ذكره ملك الروم باسيل الأول (253-273هـ/ 867-886م) في كتابه المسالك والممالك لأكثر من مرة وبذلك تكون وفاته على وجه التقريب لا التحديد بعد عام 892/279م.

خراج الروم في المصادر البلدانية الإسلامية

امتازت الرواية التاريخية في المصادر البلدانيه الإسلامية بدقتها لأنها اعتمدت على المشاهدة والعيان فمؤلفي تلك المصادر كانوا أما رحاله كالاصطخري (ت346هـ/957م) وابن حوقل(ت367هـ/977م) والمقدسي البشاري (ت380هـ/990م) أو من الذين تولوا مناصب رسمية في الدولة العباسية امكنهم من الاطلاع على الوثائق الرسمية الحكومية كابن خرداذبه، أن المعلومات التاريخية التي تعتمد المشاهدة والعيان والوثائق الرسمية هي معلومات مهمه وصحيحة.

ان موضوع خراج الروم (سميت الروم بروم بن بزنطي، وسمّوا بني الأصفر لشقرتهم لأن الشقرة إذا أفرطت صارت صفرة صافية، والروم هم الافرنج بلادهم مجاورة لبلاد اليونانيين ولغتهم مخالفة للغتهم، ياقوت الحموي، 1995، 98/3؛ابن العبري، 1997، 59) الذي دونته المصادر البلدانية الإسلامية من الأهمية بمكان وأول من اشار إلى ذلك البلداني ابن خرداذبه لكن ما يؤسف له أن معلوماته حول خراج الروم جاءت مختصره رغم أن الرواية الإسلامية قد توسعت كثيرا في جغرافية الروم ونظمهم السياسية والعسكرية ولم تصلنا قوائم خراجية مفصلة عن خراج الروم وكل الذي تم عرضه في هذا البحث كان يتحرى الدقة في تجميع النصوص بالشكل الذي يخدم الباحثين في المجال الاقتصادي للإمبراطورية الروم.

تعود أهمية النصوص الاقتصادية حول خراج الروم في رواية ابن خرداذبة إلى الأسباب الآتية:

1- ابن خرداذبة هو أول بلداني مسلم تطرق إلى موضوع الجباية والخراج في الامبراطورية البيزنطية ونقل عنه البلداني ابن الفقيه في كتابة البلدان والذي دونه بحدود سنة290هـ/999م، مؤكدا على أهمية معرفة احوال الأمم الاخرى ولاسيما المجاورة للدولة الإسلامية وكتابه المسالك والممالك حمل هذه الأهمية ودونها بمعلومات تاريخية مهمة فنظام الروم السياسي كان معروفا لدى المسلمين بقوله " والملك أكبر الروم في انفسهم واعزّه

عليهم وليس الملك فيهم وراثة ولا وكتاب متّبع انّما هو غلبة وقد ملكهم رجال ونساء وملكهم يدعى باسيلى..." (ابن خرداذبة، 1889، 109)' أما نظامهم العسكري فقد ورد بالتفصيل من حيث اعدادهم ورتبهم العسكرية واسلحتهم واعطياتهم بقوله "ولمعسكر الملك مقيما كان أو راحلا أربعة بنود عليها أربعة بطارقة في الخيل كتيبة كلّ واحد منهم اثنا عشر الفا ستّة آلاف مرتزق وستّة آلاف شاجرد " (ابن خرداذبة، 1889، 109) وديوان العسكر" مرسوم على مائة الف وعشرين الف رجل على كلّ عشرة آلاف رجل بطريق مع كلّ بطريق طرماخان كلّ طرماخ على خمسة آلاف رجل ومع كلّ طرماخ خمسة طرنجارين كلّ طرنجار على الف رجل ومع كلّ طرنجار خمسة قمامسة كلّ قومس على مائتين ومع كلّ قومس خمسة قنطرخين كل قنطرخ على أربعين مع كلّ قنطرخ أربعة داقرخين كلّ داقرخ على عشرة رجال، والعطا مختلف اكثره أربعون رطلا ذهبا إلى ستّة وثلثين رطلا إلى أربعة وعشرين رطلا إلى اثنى عشر إلى ستّة ارطال إلى رطل وأعطيات الجند ما بين ثمانية عشر دينارا إلى اثنى عشر دينارا هذا مرسوم لهم في كلّ سنة وانّما يعطون ذلك في كلّ ثلث سنين وربّما كان في أربع سنين وربّما كان في خمس سنين وربّما كان في ستّ سنين عطاء واحدا"(ابن خرداذبة، 1889، 110).

يتضح من خلال هذه النصوص مدى اطلاع البلدانيين المسلمين على الواقع السياسي والاقتصادي والعسكري في الامبراطورية البيزنطية حتى إن المؤرخين المعاصرين من المستشرقين قد اشادوا بالمعلومات الواردة لدى ابن خرداذبة ووصفوها بانها كانت ادق من المعلومات التي تحدثت بها المصادر البيزنطية المعاصرة له مثل كتاب الولايات للإمبراطور قسطنطين الرابع الذي قدم معلومات ضعيفة لا ترتقي لمستوى معلومات ابن خرداذبة الدقيقة (المنصوري، 2017، 27).

2- تاريخ نصوص خراج الروم التي دونها ابن خرداذبة تقع في المدة التاريخية التي حكم فيها الخليفة المعتمد (256-279هـ/869- 892م) (أَحْمَدْ بن جعفر المتوكل بْن مُحَمَّد المعتصم بْن الرشيد ويكنى أَبَا الْعَبَّاس ولي الخلافة بعد المهتدى بالله سنة ست وخمسين ومائتين وقدم المعتمد بغداد فأقام بها ومات في رجب سنة تسع وسبعين ومائتين للهجرة وحمل إلى سر من رأى فدفن فيها، فكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة (الخطيب البغدادي، 1417، 280/4) الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي وكان ذو منزلة رفيعة لدى الخليفة المعتضد (المسعودي، د.ت، 132/2) وصفه المقدسي البشاري بالوزير" لأنه كان وزير الخليفة واقدر على ودائع علوم خزانة أمير المؤمنين" (المقدسي البشاري، د.ت، 362) وعاصر ابن خرداذبة حكم الملك البيزنطي باسيل الأول (876-886م)(مؤسس الاسرة المقدونية، ولد في مقدونيا، تولى العرش بعد انقلاب على الملك ميخائيل في قصره وقتله في 24 من ايلول سنة 867م، توفي باسيل في 29 اب سنة 886م، خلفه عدد من الاباطرة الاقوياء حتى عام 1025م بعدها دخلت حالة الضعف حتى نهاية عهدها سنة 1056م، (رستم، 1956م، 3/2؛ رنسيمان، 1997، 45) واحداث الروم وهو يتولى ديوان البريد فكان على اطلاع مباشر بأحداث المملكة وقد ذكره في كتابه المسالك والممالك مرتين في القاب ملوك الأرض بقوله"...ملك الروم الذي تسميه العامة قيصر هو باسيل" وفي موضوع نظامهم السياسي قال" وملكهم يدعى باسيلي'' وهو الذي اغتال الملك ميخائيل وغلب على الحكم (سعيد بن بطريق، 1909، 67) قال المسعودي" ملك عشرين سنة أيام المعتز والمهتدي وصدرا من خلافة المعتمد وكانت أمه صقلبية فنسب اليها فقيل الصقلبى" (المسعودي، د.ت، 146) وتكلم عن نشأته وتدرجه في المناصب حتى اصبح ملكا وغير ذلك من أحواله في كتابه الموسوم فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف(المسعودي، د.ت، 146).

3- موارد رواية ابن خرداذبة حول خراج الروم جاءت من مصدرين، الأول من خلال توليه ديوان البريد والخبر فقد اطلع على المراسلات الرسمية للدولة العربية الإسلامية مكنته من الحصول على معلومات مهمة تخص المعاملات المالية والاقتصادية البيزنطية فقد دون مرتبات الجند الرومي في كتابه المسالك والممالك بقوله "والعطا مختلف

اكثره أربعون رطلا ذهبا إلى ستّة وثلثين رطلا إلى أربعة وعشرين رطلا إلى اثنى عشر إلى ستّة ارطال إلى رطل وأعطيات الجند ما بين ثمانية عشر دينارا إلى اثنى عشر دينارا هذا مرسوم لهم في كلّ سنة..." (ابن خرداذبة 1889، 111) فضلا عن ذكره نظم الامبراطورية البيزنطية الاخرى ويبدو أن مهمة صاحب البريد لم تقتصر على نقل الرسائل وانما ايصال كافة الأخبار التي يزود بها من الاعوان المنتشرين في كافة الأقاليم فصاحب البريد فضلا عن مهمته اصبح رقيبا ومخبرا للخليفة وهو عمل اشبه بالعمل الاستخباري واستطلاع أخبار العدو ذلك أن الامبراطورية البيزنطية هي عدو دائم سوى في الحرب أو السلم فمن الواجب معرفة احوالها ونظمها ويبدو أن ابن خرداذبة قد تمتع بصفات الثقة والكفاءة من لدن الخليفة المعتمد فقد نجح في توظيف خدمته الوظيفية في البريد في توثيق وتقديم مادة تاريخية جغرافية عن النظم والدواوين وشؤون الحكم وإدارة الدولة وتقديمها في كتابه المسالك والممالك، وقد اجمل قدامة بن جعفر صفات صاحب البريد ومهمته وأهمية أن يكون ثقة وكفؤ ومعتمدا من لدن الخليفة بقوله" والذي يحتاج اليه في هذا الديوان هو أن يكون ثقة أما في نفسه أو عند الخليفة القائم بالأمر في وقته لان هذا الديوان ليس فيه من العمل ما يحتاج معه إلى الكافي المتصفح وانما يحتاج إلى الثقة المتحفظ والرسوم التي يحتاج اليها من أمر الديوان" (قدامة، 1981، 77).

اما مصدره الثاني حول الروم وتاريخهم فهو مسلم بن ابي مسلم الجرمي (مسلم بن عبد الرحمن، حدث عن مخلد بن الحسين، ووكيع بن الجراح، وحجاج الأعور، وخالد بن يزيد القرشي. روى عنه أبو يحيى صاعقة، وعلي بن الحسن بن عبدويه الخزاز، وأبو عون البزوري، وابنه أحمد بن أبي عون، وموسى بن هارون الحافظ، وخلف بن عمرو العكبريّ، وكان ثقة. نزل طرسوس، وبها كانت وفاته سنة أربعين ومائتين في شهر رمضان، الخطيب البغدادي، 1417، 101/13؛ ابن حبان البستي، 1973، 158/9) من سكان الثغور من اهل طرطوس قضى سنوات اسيرا لدى الروم وتعلم لغتهم ودون تاريخهم وحضارتهم وفي تدوين أعمال مملكة الروم وخراجها فقد الف" مصنفه في أخبار الروم وملوكهم وبلادهم" (المقريزي، 1418، 3/ 335)، لم يصلنا مؤلفه ويبدو أن ابن خرداذبه كانت لديه نسخه من كتاب الجرمي اعتمد عليها في تدوين أخبار الروم ولقبه بـ(**العالم ببلاد الروم**) ويعد الجرمي من مشاهير أهل الثغور وصفه المؤرخ المسعودي بانه كان عالما بأخبار الروم بكافة نواحيها وقد اسرته الروم لفترة ليست بالقصيرة والتقي بملك الروم ودون أخبارها " وكان ذا محل في الثغور ومعرفة بأهل الروم وأرضها وله مصنفات في أخبار الروم وملوكهم وذوى المراتب منهم وبلادهم وطرقها ومسالكها وأوقات الغزو اليها والغارات عليها ومن جاورهم من الممالك من برجان والابر والبرغر والصقالبة والخزر وغيرهم" (المسعودي، د.ت، 162) وجرى ذكره في فداء الاسرى في عهد الخليفة الواثق (228- 232هـ/842-846م) في المحرّم من سنة 231هـ/ 845م وكان ملك الروم يدعى ميخائيل بن توفيل(المسعودي، د.ت، 162).

جغرافية بلاد الروم:

ذكرت المصادر البلدانية الإسلامية جغرافية الروم واوردت معلومات دقيقة ومهمه من الناحية التاريخية ولا سيما حول مدينة القسطنطينية مقر الحكم والعاصمة السياسية، أما حدود الروم فأولها من المغرب رومية وصقلّيّة وهى في جزيرة وكانت رومية دار ملكهم ونزلها من ملوكهم تسعة وعشرون ملكا ونزل نقموديّة منهم ملكان ونقموديّة دون الخليج وبينها وبين قسطنطينيّة ستّون ميلا وملك بعدهما ملكان آخران برومية ثم ملك ايضا برومية قسطنطين الأكبر ثم انتقل إلى بيزنطه وبنى عليها سورا وسمّاها قسطنطينيّة فهي دار ملكهم إلى اليوم (ياقوت الحموي، 1995، 98/3).

أعمال مملكة الروم:

قال ابن خرداذبه نقلا عن مسلم بن ابى مسلم الجرمىّ أن أعمال الروم التي يولّيها الملك عمّاله أربعة عشر عملا منها خلف الخليج ثلثة أعمال اوّلها عمل طافلا وهو بلد القسطنطينيّة...وطوله مسيرة أربعة أيّام والعمل الثاني خلف هذا عمل هو عمل تراقية...وطوله مسيرة خمسة عشر يوما وعرضه مسيرة ثلاثة أيّام والعمل الثالث عمل مقدونية...وطوله مسيرة خمسة عشر يوما وعرضه مسيرة خمسة أيّام وعمل الأفطيماطي...وعمل الأبسيق...وعمل ترقسيس...وهى مدينة اصحاب الكهف وأربعة حصون وقد قرئ في مسجدهم كتاب بالعربيّة بدخول مسلمة بلاد الروم وعمل الناطلوس وتفسيره المشرق وهو أكبر أعمال الروم وفيه مدينة عمّورية...وعمل خرسيون؟...وعمل البقلّار وفيه مدينة أنقرة...عمل الأرمنياق...وعمل خلدية وحدّه ارمينية...وعمل سلوقية من ناحية بحر الشأم إلى طرسوس واللّامس...وعمل القبادق وحدّه جبال طرسوس وأذنة والمصّيصة...(ابن خرداذبة، 1889، 105)

وقال مؤلف حدود العالم المدون في حدود القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي تحت عنوان القول في بلاد الروم وأعمالها (مجهول، 1423، 184)

وهي بلاد عظيمة جدا ذات نعم وفيرة لا حدّ لها وفي غاية العمارة وفيها مدن وقرى كثيرة ونواح عظيمة ذات زروع وثمار وفيرة ومياه جارية وتجارات وعساكر وفيها بحيرات صغيرة وجبال وقلاع منيعة ترتفع منها الثياب السندس والميساني والطنافس والجوارب والتكك الثمينة بوفرة وبلاد الروم أربعة عشر عملا: ثلاثة منها بعد خليج القسطنطينية إلى الغرب منه وأحد عشر منها إلى الشرق منه ولكل عمل من هذه الأعمال كورة ذات مدن وقرى وقلاع وأسوار وجبال ومياه جارية ونعم وفيرة وفي كل واحد من هذه الأعمال قائد للجيش معين من قبل ملك الروم ومعه العساكر الكثيرة الذين تتراوح أعدادهم بين ثلاثة آلاف وستة آلاف فارس مهمتهم المحافظة على ذلك العمل أما في داخل بلاد الروم القديمة فقد كانت توجد مدن كثيرة، ولكنها الآن قليلة أغلبها رساتيق عامرة ذات نعم وأسوار حصينة جدا بسبب كثرة الغزاة عليهم وتوجد في كل واحدة قلعة يلتجئ إليها الناس وقت هروبهم.

ديوان خراج الروم:

قبل التطرق في الحديث عن ديوان الخراج واقسامه لابد من اعطاء لمحة تاريخية عن اجراءات الروم البيزنطيين في تحصيل ضريبة الخراج ووضع الفلاحين فيها، فقد كانت ضريبة الخراج تسمى ضريبة الأرض(land tax) وان هذه الضريبة لم تكن خاضعة لقاعدة فكرية أو شرعية في تقديرها وانما ارادة الامبراطور هي التي كانت تفرضها وتحدد مقدارها سنويا (الريس، 1969، 34) وكان يرسم طريقة جبايتها ايضا (الناصري، د.ت، 415) ومن اجل أن تكتسب تلك الارادة الصفة القانونية يقوم الامبراطور بإصدار مرسوم امبراطوري يسمى التفويض الالهي(Divine Delegation) يحدد فيه ما يفرض على الرعية من خلال عمل تقدير لنفقات الامبراطورية في كل عام (بينز، 1950، 130) وإصداره يكون في شهر حزيران أو اب ويبلغ إلى الأقاليم في شهر ايلول أو تشرين الأول (العقاد، 2005، 147) وكان المرسوم يرسل إلى الولاة ثم امراء المقاطعات ثم حكام النواحي ثم إلى مسؤول القرية الذي يتولى توزيع مقدار الضريبة على الأفراد وتتم عملية التحصيل الخراجي (الريس، 1969، 35)، أن النظام المتبع في تحصيل ضريبة الخراج هو نظام شامل لكل مقاطعات الامبراطورية الرومانية (الدوري، 2008، 100) أما الية جمع ضريبة الخراج فتتم بتقسيم المبلغ الكلي على أعمال الامبراطورية وصولا إلى متعهد القرية فيتولى تعيين ما مفروض من الضريبة على أفراد القرية (ابن عبد الحكم، 1415، 179)، أن اهم ما يميز ضريبة الخراج الرومية انها نسبية في جبايتها بمعنى انها تعتمد على نسبة سكان القرية لذلك فان هجرة الفلاحين لأي سبب كان يحمل الباقين من اهل القرية اعباء دفع الضريبة المقررة على القرية (الدوري، 2008، 100) وكانت الاراضي على نوعين فالأراضي التي تزرع المحاصيل

الزراعية تسمى اراضي الغلال وكان مقدار الضريبة تتراوح بين 2ونصف الاردب إلى سبعة ارادب(الاردب كيل كبير يستعمل في مصر لتقدير الحبوب وهو ست ويبات ويزن الاردب 150كغم، (الجليلي، 2005، ص115) وهناك اراضي البساتين وتشمل النخيل والكروم والاشجار ومقدار الضريبة حوالي 10 درهم للفدان الواحد وفي بعضها 20 وهناك 40 درهم (الريس، 1969، 53) وبسبب حروب الامبراطورية ومشاكلها الداخلية فقد دفعتها الحاجة إلى مزيد من الاموال مما دفع بعض حكام الروم إلى القيام بإصلاحات ضريبة لضمان مالية الدولة ومن اهم تلك الاصلاحات ما قام به الامبراطور دقليديانوس في القرن الثالث الميلادي (284-305م) والتي شملت طرق الجباية وان يؤخذ الخراج عينا من كل اراضي الامبراطورية من اجل دعم مالية الدولة (عوض، 2007، 462) وبسبب أهمية ضريبة الأرض باعتبارها مصدراً اساسياً للدخل المالي للخزينة الامبراطورية منع الفلاحين من ترك اراضيهم وهجرتها حتى لا تدهور الزراعة وتنقص الضريبة وأوكل جمع الضرائب إلى كبار الملاكين والتي يتم جبيها سنويا وبشكل عيني (بينز، 1950، 130) وقد شملت المحاصيل الرئيسية من القمح والشعير وغيرها من الثمار والمحاصيل المهمة وجعل مقدرة الأرض الإنتاجية هي اساس تقدير الخراج وقسمت الأرض إلى اصناف بحسب قربها من موارد المياه فالأراضي السيحية التي تسقى سيحا تختلف في جبايتها عن الاراضي التي تسقى بالواسطة (الدوري، 2008، 100) وكانت وحدة التقدير الضريبي تمثل قطعة الأرض الصالحة للزراعة التي يستغلها فلاح واحد (الدوري، 1987، مج 2/ 458) تختلف حسب نوعية الأرض (الناصري، د.ت، 415) وهي وحدات لا تتساوى في المساحة وانما في قيمة المحصول فهي تعادل في إنتاجها 20 فدان من الاراضي الجيدة الخصبة أو إنتاج 40فدان من الأرض المتوسطة أو 60 فدان من الاراضي الرديئة (الدوري، 1987، مج 2 /458) وفي بلاد الشام كانت هذه الوحدة تعادل إنتاج خمسة افدنة مزروعة بالكروم وإنتاج مساحة مزروعة ب220 شجرة زيتون في الأرض الخصبة وتعادل في الأرض الرملية450شجرة زيتون (الريس، 1969، 415)، أن سبب جمع الضريبة عينا يعود إلى سببين الأول كثرة الغلات من المحاصيل الزراعية لبعض الأقاليم ومنها اقليم مصر (رستوفتزف، د. ت، 206/1) أما الثاني فهو انخفاض قيمة العملة النقدية في الامبراطورية البيزنطية (العريني، د.ت، 339؛ الشيخ محمد، 1994، 194).

اما اصلاحات الملك باسيل الأول فسببها يعود إلى الحالة المالية بالغة السوء للإمبراطورية بسبب الاسراف الذي بالغ فيه الامبراطور ميخائيل الثالث فقد ترك امبراطورية خاوية الموارد (العريني، د.ت، 339؛ الشيخ محمد، 1994، 194) فاتجه باسيل الأول إلى الاستعانة بموظفين مخلصين في الإدارة المالية وجمع الضرائب ووقف إلى جانب الفلاحين للحفاظ على ملكياتهم وايجاد نظام ضريبي عادل لا يلحق الضرر بالفلاحين واتجه نحو اصلاح طريقة الجباية بالاعتماد على سجلات الاراضي وتم مراجعة هذه السجلات وتدقيقها بشكل شامل والزم الموظفين بان يسجلوا ارقام دقيقة للضريبة الواجب دفعها واتجه ايضا نحو المشاركة الفعلية بهذا العمل بفحص ومراجعة تلك السجلات ومتابعة الشكاوى (العريني، د.ت، 340) وكان من نتيجة ذلك تحسن احوال الفلاحين فظلت تنظيمات باسيل الأول واصلاحاته قائمة لمدة قرنين (الشيخ محمد، 1994، 195).

ان السمات العامة لضريبة الخراج في الدولة البيزنطية هي:

1- لم تكن ضريبة الأرض ثابتة وانما تخضع لإرادة الامبراطور البيزنطي الذي يقوم كل عام بتحديد مقدار الخراج وطريقة دفعها في السنة وفق مرسوم يسمى التفويض الالهي الصادر عام 324م فلم يكن في استطاعة احد أن يعرف مسبقا ما يلزم دفعه في العام التالي واضحى كل حساب محالا قبل أن تعلن الدولة مقدار ما تطلبه في تلك السنة (رستوفتزف، د.ت، 619).

2- تقدير الضرائب يختلف باختلاف الولايات في مصر مثلا يبنى التقدير على اساس السجل المفصل للأراضي المزروعة وفي الولايات الاخرى على اساس الاحصاء وعلى مقدرة الدفع المختلفة (عطا، 1994، 48).
3- قسمت الاراضي الزراعية المزروعة منها وغير المزروعة إلى وحدات ضريبة تكفي للإعالة شخص واحد وتختلف باختلاف الأرض سواء كانت خصبة أو متوسطة أو رديئة في سهل ام جبل وايضا ما تنتجه من حبوب أو زيتون أو كروم (الشيخ محمد، 1994، 621).
4- ضريبة الأرض البيزنطية ضريبة نسبية تضامنية تعتمد على نسبة وعدد الفلاحين فقطعة الأرض قد تزرع سنة وتترك سنة بسبب هجرة الفلاحين لأي سبب كان فإنتاج الضياع كان لا يتناسب مع مساحة الأرض وانما على عدد ما بها من الرؤوس وقد جعل نقص عدد السكان في الامبراطورية ولا سيما نقص عدد الفلاحين الذين يزرعون الأرض وحدة الضريبة هي الراس أكثر مما هي الفدان (الشيخ محمد، 1994، 621).
5- كانت القرية يمثلها مجلس القرية الذي يتولى توزيع نسب الضرائب على سكانها وجبايتها من كل شخص يزرع قطعة من الأرض عليه أن يعلن مساحتها وعدد الرؤوس التي تعمل بها بما في دلك الماشية (الشيخ محمد، 1994، 621)..

العناصر الرئيسة للخراج في رواية ابن خرداذبة:

- نوع الخراج.
- مقدار الخراج
- أوقات جمع الخراج
- متولي ديوان الخراج

لقد شكلت هذه العناصر المادة الرئيسية في رواية ابن خرداذبة لخراج الروم البيزنطيين:

- **نوع الخراج**

قال ابن خرداذبة " وخراج الروم مساحة " (ابن خرداذبة، 1889، 102) بعد مسح الأرض يتم تقسيمها إلى وحدات عرفت بـ (جوجم- jugum وهي وحدة مساحة رومانية قديمة تطلق على قطعة الأرض التي يمكن أن يحرثها زوج من الثيران في يوم واحد ومساحتها مائة قدم مربع من قبل شخص واحد وتسمى ايضا بـ(رأس الأرض أو أرض الرأس hand land) ALFRED، 1956، p25، ROMAN، 1918، (p92) والجوجم هي وحدة التقدير الضريبي والتي لا تتساوى في المساحة وانما في قيمة المحصول وعلى اساس هذه الوحدات جرى حساب الضريبة المقررة على قطعة أرض من اي نوع (بينز، 1950، 131) وهي تمثل قطعة الأرض الصالحة للزراعة وتختلف بحسب نوعية الأرض فهي تعادل في إنتاجها 20 فدان من الاراضي الجيدة الخصبة أو إنتاج 40فدان من الأرض المتوسطة أو 60 فدان من الاراضي الرديئة وفي بلاد الشام كانت هذه الوحدة المكونة من خمسة افدنة من الكرم كانت تساوي عشرين فدانا من الأرض المحروثة وتساوي الأرض المزروعة بـ220 شجرة زيتون في الأرض الخصبة وتعادل في الأرض المرتفعة 450شجرة من الزيتون (بينز، 1950، 131) وعند مقارنة خراج المساحة البيزنطي مع خراج المساحة الإسلامي نرى أن المفهوم الإسلامي لخراج المساحة تمثل بفرض ضريبة على مساحة من الأرض جرى مسحها وتقدير جبايتها ويسمى بخراج الوظيفة أو الطسق (الوظيفة توضع على أصناف الزروع لكل جريب وهو بالفارسية تشك وهو الأجرة.(الخوارزمي، د، ت، 86) يجمع مرة واحدة في السنة فقط ولا يتكرر حتى لو استغلت الأرض لأكثر من مرة في العام لان الخليفة عمر رضي الله عنه فرض خراج المساحة مرة واحدة في السنة ويكون وفق السنة القمرية لأنها السنة المعتبرة شرعا،

فالخراج حق معلوم على مساحة معلومة (الماوردي، 2006، 235) أما وحدة المساحة فتدعى الجريب(مقدار معلوم الدراع والمساحة، فقد وضع الخليفة عمر رضي الله عنه على أرض السواد لكل جريب...وهو ستون ذراعا في ستين والذراع التي تم مسح بها السواد كانت 66سم فيكون ضلع الجريب 60 ×0، 66 =39، 60 م ×2 =1568م2مقدار مساحة الجريب، (الجليلي، 2005، 82) ويعد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنة أول من طبق نظام المساحة في الدولة العربية الإسلامية على الاراضي المحررة عنوة على أن تبقى بيد سكانها وعدم تقسيمها على الفاتحين وتبقى فيئا عاما للمسلمين، قال الماوردي" فانه أول من مسح السواد ووضع الخراج وحدد الحدود ووضع الدواوين وراعى ما تحتمله الأرض من غير حيف بمالك ولا اجحاف بزارع" (الماوردي، 2006، 229) والهدف منه هو ايجاد مورد مالي ثابت للمسلمين وكانت الية جمع الخراج قائمة على مسح الاراضي ووضع ما تحتمله الأرض من خراجها وفرض ضريبة ثابته على المحاصيل والثمار التي كانت معروفة وتزرع بأرض العراق وهي المحاصيل والثمار الداخلة في معاش الناس والقابلة للخزن والادخار وهي (الحنطة والشعير والنخل والكروم)(أبو يوسف، د. ت، 47).

ان من أهداف خراج المساحة الإسلامي هو تثبيت الفلاحين في قراهم وعدم هجرتها لان الاساس في تقدير الضريبة قد شجع الفلاحين على استثمار المساحة الكلية للأرض ذلك أن الزيادة خارج حدود الضريبة المنصوص عليها يكون مردودها المالي للفلاح وحده وليس للسلطة المركزية فالفلاح باستطاعته أن يزرع محاصيل غير داخلة تحت بند الخراج أو استغلال الأرض لأكثر من مرة وهكذا الامر الذي شجع الفلاحين على بذل الجهود وصرف طاقتهم في زراعة الأرض، قال الماوردي "ولا يستقصي في وضع الخراج غاية ما تحتمله وليجعل فيه لأرباب الأرض بقية يجبرون بها النوائب والحوائج" (الماوردي، 2006، 231) فضلا عن ذلك فان الهدف الاخر للنظام المالي الإسلامي هو ضمان مردود مالي لا يتغير في الظروف الاعتيادية لبيت المال العام.

اما في المناطق التي كانت تحت سيطرت الروم البيزنطيين(بلاد الشام ومصر) فقد كان خراج المساحة مطبقا فيها وقد راعى الروم البيزنطيين في اصلاحاتهم المالية فيما يخص ضريبة الخراج قدرة الأرض الإنتاجية والاحتفاظ بسجلات ضريبية للأراضي ومستثمريها لأنها تعد من الضرائب النظامية (الدوري، مج2، 1987، 457) وكما مر سابقا فان الاصلاحات المالية قد شملت انحاء الامبراطورية البيزنطية ومنها بلاد الشام ومصر بسبب شكاوي الفلاحين لعدم ثبات قيمة الضريبة وزيادتها(عطا، 1994، 47) فقد امر الملك دقليديانوس وفق مرسوم عام 296م بمسح الأرض وتقسيمها إلى وحدات ضريبية (الدوري، مج2، 1987، 457) وتكون جباية الخراج عينية لأنها في صالح الفلاحين بسبب احوال التجارة المضطربة في تلك المدة التاريخية وكان من الصعوبة على الفلاح تسويق محصوله(الناصري، د.ت، 416) والمسؤول عن جباية الخراج مجلس القرية الذي يوزع الضرائب ويجمعها وكانت القرية تعد مركز ضريبي عام منه توزع على الاملاك الزراعية (الناصري، د.ت، 416) وكانت هناك سجلات الاراضي فيها اسماء الفلاحين وعوائلهم من اجل سهولة جمها وربطهم بالأرض (الدوري، مج2، 1987، 459).

بعد عمليات تحرير بلاد الشام واستقرار الإدارة العربية الإسلامية بعد سنة 17هـ/638م اتجه المسلمون إلى تنظيم الضرائب واهمها ضريبة الخراج (كاتبي، 1994، 122) وكان الموقف العام تجاه تلك الاراضي بجعلها وقفيه لعامة المسلمين وبنفس الاجراءات في سواد العراق مسحت اراضي الشام واحصي السكان والاشجار المثمرة والزروع(الدوري، مج2، 1987، 466) وبقي مجلس القرية مسؤول عن جمع الخراج (الدوري، مج2، 1987، 466) وتختلف ضريبة الخراج في بلاد الشام عن سواد العراق بانها غير ثابته(بتلر، 1933، 392) بسبب" اختلاف الأرضين واختلاف الزروع واختلاف السقي " (الماوردي، 2006، 231) فأراضي الشام جلها ديميه تعتمد على ما سقت السماء اي الامطار الذي يؤثر بدورة على كمية الإنتاج حسب حالة المطر(الدوري، مج2، 1987، 460) فضلا عن تنوع تضاريس الشام من سهول ووديان واراضي جبلية فقد عامل الخليفة عمر رضي الله عنه اراضي الشام على غير

اراضي السواد" وعمل في نواحي الشام على غير هدا فعلم انه راعى في كل أرض ما تحتمله" (الماوردي، 2006، 230) وقد استخدم الجريب كوحدة مساحة للأرض وتقدير قيمة الخراج في العصر الإسلامي، وبنفس الاجراءات في بلاد الشام طبقت ايضا في مصر(عطا، د.ت، 17) وقد بقيت تنظيمات البيزنطيين الخراجية معمول بها في مصر بعد الفتح الإسلامي من ناحية الية وادوات الجباية ففي رواية السيوطيان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى عمرو بن العاص يطلب منه أن يسأل المقوقس البطريق بنيامين(هناك اختلاف واضح في المصادر التاريخية حول اسم المقوقس الذي اتفق مع عمرو بن العاص، للمزيد حول تعدد الروايات وعرضها وتحليلها ينظر: العقاد، 2005، 97) وهو المسؤول عن الخراج وجبايته في مصر: من أين تأتي عمارتها وخرابها؟ فسأله عمرو، فقال له المقوقس: تأتي عمارتها وخرابها من خمسة وجوه: أن يُستخرج الخراج في إبان واحد عند فراغ أهلها من زروعهم، ويُرفع خراجها في إبان واحد عند فراغ أهلها من عصر كرومها، وتُحفر في كل سنة خُلُجها، وتُسد ترعها وجسورها، ولا يُقبل محل أهلها -يريد البغي- فإذا فُعل هذا فيها عمرت، وإن عُمل فيها بخلافه خربت وكان عمرو بن العاص قد ابقى جباية مصر بيد قبطها على جباية الروم(السيوطي، 1967، 150/1)، قال ابن عبد الحكم "وكان عمرو بن العاص لما استوسق له الأمر أقر قبطها على جباية الروم"(ابن عبد الحكم، 1415، 179؛السيوطي، 1967، 145/1) ويدعى الخراج الذي وظف على مصر بخراج التعديل ويقصد به "إذا عمرت القرية وكثر أهلها زيد عليهم وإن قل أهلها وخربت نقصوا"(ابن عبد الحكم، 1415، 179؛ السيوطي، 1967، 145/1) وهي الطريقة المتبعة في جمع الخراج وبقي اقباط مصر على الجباية وتقدر كل سنة وتوزع على الفلاحين، أما عن طريقة جمعها فقد وصفها ابن عبد الحكم بقوله" فيجتمع عرفاء كل قرية ورؤساؤهم فيتناظرون في العمارة والخراب حتى إذا أقروا من القسم بالزيادة انصرفوا بتلك القسمة إلى الكور ثم اجتمعوا هم ورؤساء القرى فوزعوا ذلك على احتمال القرى وسعة المزارع ثم ترجع كل قرية بقسمهم فيجمعون قسمهم وخراج كل قرية وما فيها من الأرض العامرة فيبدرون ويخرجون من الأرض فدادين لكنائسهم وحماماتهم ومَعْدياتهم من جملة الأرض ثم يخرج منها عدد الضيافة للمسلمين ونزول السلطان فإذا فرغوا نظروا إلى ما في كل قرية من الصنائع والأجراء فقسموا عليهم بقدر احتمالهم فان كانت فيها جالية قسموا عليها بقدر احتمالها وقل ما كانت إلا للرجل الشاب أو المتزوج ثم نظروا فيما بقي من الخراج فيقسمونه بينهم على عدد الأرض ثم يقسمون بين من يريد الزرع منهم على قدر طاقتهم فان عجز أحد وشكا ضعفًا عن زرع أرضه وزعوا ما عجز عنه على ذوي الاحتمال وإن كان منهم من يريد الزيادة أُعطي ما عجز عنه أهل الضعف فإن تشاحوا قسموا ذلك على عدتهم" وكانت مصر أربعة وعشرون قيراطا وعليها كانت قسمتهم وكان الفدان هو وحدة المساحة في مصر فكل قيراط جزء من أربعة وعشرين جزء من الفدان وعلى ذلك يقسم المصريون أرضهم وتكسير الفدّان أربعمائة قصبة لأنه عشرون قصبة طولا في عشرين قصبة عرضا(المقريزي، 1418، 194) وان كل أربعمائة قصبة في التكسير يعبر عنها بفدّان وهو أربعة وعشرون قيراطا كل قيراط ستّ عشرة قصبة في التكسير(القلقشندي، د.ت. 513/3) ولما كانت القصبة تعادل 3، 8492سم فمساحة الفدان تساوي 3، 8492×20)2= (76، 984)2 = 5926، 54م2، اما القيراط يعادل 246، 94 اي 247م2 (الجليلي، 2005، 83) وجعل على كل فدان نصف إردب وويبتين من شعير إلا القرط فلم يكن عليه ضريبة، والويبة يومئذ ستة أمداد (ابن عبد الحكم، 1415، 179؛السيوطي، 1967، 145/1) ولمعرفة مقدار وزن الاردب والويبة بالمقاييس العصرية، نقول ان:

الاردب مكيال ضخم لأهل مصر وزنه أربعة وعشرين صاعا (ابن منظور، 1414، 1/ 416) وعلى هذا يكون الاردب =3، 736 لتر للصاع×24=89، 664 لترا وزن الاردب.

اما الويبة فمقدارها اثنان وعشرون أو أربع وعشرون مدا بمد النبي صلى الله عليه وسلم.

ان المد =0، 934لتر فتكون الويبة 20، 548لتر أو 22، 416لتر (الجليلي، 2005، 115).

فيكون مجموع ما وظف على الفدان 89، 664 لتر من الشعير وهذا التقدير يتفق مع وزن الاردب 24 صاعا.

مقدار الخراج: حسب رواية ابن خرداذبة فان مقدار الخراج كان" على كلّ مائتي مدى ثلثة دنانير في كلّ سنة والمدى ثلثة مكاكيك" (ابن خرداذبة، 1889، 111) ومن اجل معرفة هذا المقدار بالمقاييس العصرية لابد من معرفة مقدار المدى والمُدْيُ مِنَ الْمَكَايِيلِ مَعْرُوفٌ وجمعه امداء وهو مكيال معروف كان يستَخدم في الشام ومصر قبل الإسلام (ابن الرفعة، 1980) قالَ ابْنُ الأَعرابي هُوَ مِكْيَالٌ ضَخْم لأَهل الشَّامِ وأَهل مِصْرَ (ابن منظور، 1414، 274/15)، والمُدْيُ مِكْيَالٌ لأَهل الشَّامِ يَسَعُ خَمْسَةَ عَشَرَ مَكُّوكاً والمَكُّوك صَاعٌ وَنِصْفٌ وَقِيلَ أَكثر مِنْ ذَلِكَ ابن منظور، 1414، 274/15) وبما أن المكوك= صاع ونص وان وزن الصاع =3، 736غم (الجليلي، 2005، 122) ×1، 5 =5، 604 غم وزن المكوك الواحد فيكون وزن المدي = 5، 604×3=16، 812كغم.

16، 812×200=3، 362، 4 ألف كغم وهو يعادل وحدة واحدة من إنتاج الاراضي الخاصة بالغلال وان ما ذكره ابن خرداذبة يمثل مقدار الوحدة الإنتاجية وليست مساحة الأرض، **ومبلغ ما وظف من خراج على هذه الوحد الإنتاجية ثلاثة دنانير.**

طريقة الدفع سنويا " في كل سنة" وان ضريبة الخراج كانت عينية

ويبدو أن ابن خرداذبة اكتفى بذكر ما يؤخذ من القمح لأنه قال إن عشر هذا الإنتاج يؤخذ ويخزن في مخازن الجيش البيزنطي وتدعى الاهراء ففي قانون دقلديانوس اصبحت رواتب الجند تدفع عينا وكانت عبارة عن قمح وزيت ونبيذ وملح ولحم خنزير يكفيه لمدة عام وتسمى الانونا الحربية ولقد فرضها دقلديانوس على جميع الولايات البيزنطية ولم يثبت مقدارها وكانت تصدر كل عام وفق مرسوم وتخضع نسبتها في كل ولاية عن طريق اعادة مسح الأرض (عطا، 1994، 53).

وقال ايضا أن أوقات تحصيل الثمار تكون في شهر ايلول وهو يقصد ثمار اشجار البساتين" وثمار الروم تدرك في السهل والجبل في ايلول" (ابن خرداذبة، 1889، 111).

لم نحصل على قوائم خراجية تخص الامبراطورية البيزنطية سوى اشارات بذكر بعض مبالغ الخراج في مدد تاريخية مختلفة، فقد بلغ خراج الروم مليون وخمسمائة الف وتسعين دينار في عهد الخليفة هارون الرشيد(149-193هـ/766- 809 م) بحسب رواية ابن الفقيه "ان خراج مصر وحدها يضعف على جميع خراج الروم وحمل منها موسى بن عيسى في دولة بني العبّاس ألفي ألف ومائة ألف وثمانين ألف دينار" (ابن الفقيه، 1996، 129) وفي عهد حكم الملك توفيل بن ميخائيل(829-842 م/214-228هـ) بلغ خراج الروم ثلاثة ملايين دينار حسب رواية متولي ديوان خراج الروم باسييل الخرشني برواية احمد بن اسرائيل التي نقلها ابن الفقيه بقوله " وقال بعض الجلساء سمعت المعتز يقول لأحمد بن إسرائيل: يا أحمد! كم خراج الروم؟ فقال: يا أمير المؤمنين! خرجنا مع جدك المعتصم في غزاته. فلما توسطنا بلد الروم، صار إلينا بسيل الخرشني وكان على خراج الروم فسأله محمد بن عبد الملك عن مبلغ خراج بلدهم، فقال خمسمائة قنطار وكذا وكذا قنطار، قال: فحسبنا ذلك، فإذا هو أقل من ثلاثة ألف ألف دينار، فقال المعتصم: اكتب إلى ملك الروم إني سألت صاحبك عن خراج أرضك فذكر أنه كذا وكذا، وأخس ناحية في مملكتي خراجها أكثر من خراج أرضك، فكيف تنابذني وهذا ارتفاع بلدك؟"(ياقوت الحموي، 1995، 100/3)

وفي رواية الرحالة بنيامين التطيلي في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي حول خراج القسطنطينية، قال "ويتوارد الخراج على قسطنطينية كل سنة من جميع أنحاء بلاد الروم فضلا عن الهدايا السنية من حرير ملون وذهب ما يملأ الخزائن العديدة ولا نظير لهذه الثروة وهذه المباني في جميع العالم ويقال أن خراج العاصمة وحدها يبلغ عشرين ألف فلورين ذهبا في اليوم الواحد" (الرابي بنيامين، 2002، 222).

متولي ديوان الخراج:

ويدعى اللغثيط، قال ابن خرداذبة" وأكبر البطارقة خليفة الملك ووزيره ثم اللغثيط صاحب ديوان الخراج"(ابن خرداذبة، 1889، 112) وهو بالمصطلح البيزنطي يسمى لغثيطيس(منصور، 2015، 136) وهذا اللقب يمنح لموظفي الدولة البيزنطية الكبار وعددهم أربعة وهم(لغثيط البريد، لغثيط لخزانة العامة، لغثيط الخزانه العسكرية، لغثيط الضياع الملكية) (منصور، 2015، 137) ويتكون هذا الديوان من هيئة موظفين عددهم خمسة موظفين موزعين على الأقاليم الرئيسية للإمبراطورية(منصور، 2015، 141) ومن اشهر متولي ديوان الخراج الذين ذكرتهم كتب التاريخ باسيل الخرشني الذي التقى بالخليفة العباسي المعتصم وجرى سؤاله حول مبلغ خراج مملكة الروم (ابن الفقيه، 1996، 392؛ المقدسي البشاري، د.ت، 64) ومتولي خراج الشام منصور بن سرجون ايام الملك هرقل(610-641م/..-21هـ) الذي زار الشام سنة 9هـ/630م وطالبه بخراج ست سنوات وهي مدة حصار الفرس للقسطنطينية(حول الصراع الساساني البيزنطي، ينظر: يوسف، 1984) فاستخرج منه مائة الف دينار واقره في عمله (سعيد بن بطريق، 1909، 5) أما في مصر فكان عامل الخراج هو المقوقس(سعيد بن بطريق، 1909، 5)

الخاتمة.

توصل البحث إلى الاستنتاجات الاتية:

- ان رواية خراج الروم وثيقة اقتصادية لمالية الامبراطورية البيزنطية في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي حملت في طياتها مادة تاريخية مهمة عن تلك الدولة واظهرت سعة وإطلاع المسلمين على احوال الدول المجاورة في جوانبها المتعددة.
- اتسمت تلك الرواية بالمصداقية التاريخية لان عنصر المشاهدة والعيان هما عماد تلك الرواية والتي مثلها الاسير المسلم ابي مسلم الجرمي الذي قضى سنوات داخل المجتمع البيزنطي ودون مشاهداته في كتاب لم يصل الينا، كان لدى ابن خرداذبة نسخة منه نقل اغلب معلوماته ولأهميتها ومصداقيتها لقبه ب(العالم بأخبار الروم).
- خراج الروم اتصف بالنسبية في جمع ضريبة الأرض لأنه اعتمد على عدد سكان القرية الواحدة فالمبلغ المقرر يوزع بالتساوي على أفرادها وان اي نقص في العدد لأي سبب كان يحمل الباقين دفع المبلغ المتبقي لذلك سميت (ضريبة راس الأرض).
- بعد الفتح الإسلامي لبلاد الشام ومصر احتفظ المسلمون بآليات جمع الخراج كما هي فضريبة خراج الشام لم تكن ثابته كما هو الحال في سواد العراق بسبب بيئة الشام الجغرافية من مياه وتضاريس وجودة الزرع أما في مصر فقد بقي الاقباط على جباية الخراج وبقيت الضريبة تقدر سنويا وتوزع على القرى.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر الأولية:

1- ابن الاثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن(ت 630هـ): الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمر، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان-1997م.

2- ابن الجوزي، جمال الذين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ): لمنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت - 1992م.

3- ابن الرفعة، ابي العباس نجم الذين الانصاري(710ه): الايضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان، حققه محمد احمد اسماعيل الخاروف، دار الفكر-دمشق-1980م.
4- ابن الفقيه، أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني (ت 365): البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت -1996م.
5- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد (ت 438ه)، الفهرست، تحقيق إبراهيم رمضان، ط2، دار المعرفة بيروت - لبنان- 1997م.
6- ابن حبان البستي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، أبو حاتم (ت 354ه): الثقات، طبع بإعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية تحت مراقبة الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند- 1973م.
7- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت 852 ه): لسان الميزان، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة: دار البشائر الإسلامية، 2002م.
8- ابن عبد الحكم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، أبو القاسم المصري (ت 257ه): فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية- 1415ه.
9- ابن منظور: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الذين الأنصاري (ت 711ه): لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت - 1414ه.
10- ابو سعيد الاندلسي علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك ابن سعيد، (ت685ه): نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان – الأردن، لات.
11- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد الأنصاري (ت182ه): الخراج، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن محمد، المكتبة الأزهرية للتراث.
12- بنيامين التطيلي: الرابي بنيامين بن الرابي يونة التطيلي النباري الإسباني اليهودي (ت 569ه): رحلة بنيامين التطيلي، المجمع الثقافي، أبو ظبي- 2002م.
13- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت 463ه): تاريخ بغداد وذيوله، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت- 1417ه.
14- الخوارزمي: محمد بن أحمد بن يوسف، (ت 387ه): مفاتيح العلوم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب العربي.
15- سعيد بن بطريق، افتيشيوس: كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، مطبعة الاباء اليسوعين، بيروت- 1909م.
16- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الذين (ت 911ه): حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر- 1967م.
17- الصفدي، صلاح الذين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت 764ه): الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت-2000م.
18- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير (ت310ه): تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية - بيروت، 1407ه.
19- عبد الغني المقدسي (ت600 ه): المحنة على إمام أهل السنة أحمد بن حنبل، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية - 2004م

20- الفاسي، محمد بن أحمد بن علي، تقي الذين، أبو الطيب المكي الحسني (ت 832هـ): شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية -2000م.
21- قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج (ت 337هـ): الخراج وصناعة الكتابة، دار الرشيد للنشر، بغداد- 1981م.
22- القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري، (ت 821هـ): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، لات.
23- الماوردي، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت 450هـ) الاحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق احمد جاد، دار الحديث، القاهرة-2006م.
24- مجهول (توفي: بعد 372هـ): حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ترجمة السيد يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة-1423هـ.
25- المراكشي، عبد الواحد بن علي التميمي (ت 647هـ): المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تحقيق صلاح الذين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت – 2000.
26- المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين بن على (ت346هـ): التنبيه والإشراف، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي – القاهرة.
27- المقدسي البشاري، ابو عبد الله محمد بن أحمد (ت380هـ): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت.
28- المقدسي، المطهر بن طاهر(توفي نحو 355هـ): البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الذينية، بور سعيد.
29- المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، تقي الذين (ت 845هـ): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت- 1418هـ.
30- ياقوت الحموي، شهاب الذين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ): معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس: دار الغرب الإسلامي، بيروت – 1993م.
31- ياقوت الحموي، شهاب الذين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ): معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت - 1995م.

المراجع العربية والمعربة:

1- ادوارد كرنيليوس فانديك: اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، صححه وزاد عليه: السيد محمد علي الببلاوي، مطبعة التأليف (الهلال)، مصر – 1896م.
2- بتلر، الفرد: فتح العرب لمصر، ترجمة محمد فريد ابو حيدر، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة-1933م.
3- بينز، نورمان: الامبراطورية البيزنطية، ترجمة حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد، القاهرة-1950م.
4- الجليلي، محمود: المكاييل والاوزان والنقود العربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت-2005م.
5- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى - بغداد 1941م.
6- الدوري، عبد العزيز: النظم الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-2008م.
7- الدوري، عبد العزيز: تنظيمات عمر بن الخطاب (الضرائب في بلاد الشام)، بحث قدم في المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام، الندوة الثانية-1985م، المجلد الثاني، عمان-نشر عام 1987م.

8- رستم، اسد: الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم، دار المكشوف، بيروت-1956م.
9- رستوفتزف، م: تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ترجمة زكي علي ومحمد سليم سالم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
10- رنسيمان، ستيفن: الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1997م.
11- الريس، محمد ضياء: الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، دار المعارف، مصر-1969م.
12- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس: الاعلام، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر- 2002م.
13- الشيخ، محمد محمد مرسي: تاريخ الامبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية-1994م.
14- العريني، السيد الباز: الدولة البيزنطية(323-1081م)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر-لات.
15- عطا، زبيدة محمد: الحياة الاقتصادية في مصر البيزنطية، دار الامين، القاهرة-1994م.
16- العقاد، عباس محمود: عمرو بن العاص، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة-2005م.
17- عوض، محمد مؤنس: الإمبراطورية البيزنطية دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة (330-1453م، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة - 2007م.
18- كاتبي، غيداء خزنة: الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى اواسط القرن الثالث الهجري، بيروت-1994م.
19- كحالة: عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني: معجم المؤلفين، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
20- منصور، طارق: بيزنطة مدينة الحضارة والنظم، دار الفكر العربي، 2015م.
21- المنصوري، محمد الطاهر: صورة بيزنطة في الحضارة العربية من خلال اللغة. مجلة اسطورة. العدد6-2017م.
22- الناصري، سيد احمد: تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، دار النهضة العربية، القاهرة.
23- يوسف، جوزيف نسيم: تاريخ الدولة البيزنطية (284-1453م)، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الاسكندرية-1984م.

المراجع بالأجنبية

1- Alfred Bel-Bulletin de la société des amis du vieux Tlemcen-imprimeriede,Beaux Arts,1956,p25 Roman farrmmanagement the treatises of cato and varro done into English, with notes of modern instances by a Virginia farmer the macmillan company,1918,p92.